حقيقة مرض الإمبراطور كلاوديوس واستبعاده عن السلطة حتى عامه الخمسين

يثار حول الإمبراطور "كلاوديوس Claudius" (٤١-٥٤م.) كثير من الإشكاليات التى تعد الأكثر إثارة فى التاريخ الرومانى. حيث تسلط المصادر الأدبية[١] الضوء على الجوانب السلبية لشخصه وفترة حكمه وسياسته وأظهرت أنه رجل أحمق. وركزت تلك المصادر على الحالة المرضية التى أصابت كلاوديوس وهو صغير وأظهرت نقاط الضعف فى شخصه، مستغلة آراء أقربائه فيه حين كان طفلا صغيرا، إلا أن دراسات حديثة وتشخيصات طبية أعادت تقييم الصورة الإكلينيكية التى تقدمها المصادر عن مرض كلاوديوس.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة الفترة الأولى من حياة كلاوديوس قبل تقلده السلطة الإمبراطورية، وإلقاء الضوء على مرض كلاوديوس وتفسير نقاط ضعفه فى ظل التشخيص الاكلينيكى الحديث، ومن ثمّ سوف ترتكز على الدراسة الطبية القيمة التى قدمها "ايرنستاين Erenestine"[٢] معتمدا على دراسات طبية وسوف نقوم بمناقشة اقوال معاصريه وعلى رأسهم أقربائه جده الإمبراطور[٣] أغسطس وجدته ليفيا وأمه انطونيا، ومعاصره سنيكا الفيلسوف مربى نيرون، وكذلك أقوال سويتونيوس[٤] الذى بالغ فى تفسير تلك الروايات فى سيرته عن كلاوديوس، التى ركزت على الجوانب السلبية.

فضلاً عن ذلك، سوف يتناول البحث اهتمامات كلاوديوس الأدبية وثقافته[٥] لبيان الصورة الإيجابية فى شخصيته،[٦] حيث أن هناك اتهام شائع أن كلاوديوس آثر الآداب عن السياسة والدراسة عن السلطة ومن ثمّ اعتبر

---

(١) كل الإشارات التى سترد بخصوص المؤرخين القدامى أو سنيكا فيما يخص الإمبراطور كلاوديوس هى من خلال النصوص اللاتينية الواردة فى مجموعة Leob Classical Liberary. وسوف نتبع الاختصارات التالية:

Dio Cassius = Dio, 60.; Josephus, Antiquitates Judicae = Joseph. AJ.; Seneca, Apocolocyntosis = Seneca, Apoc.; Suetonius, Divus Claudius = Suet. Claud.; Tacitus Annales = Tac. Ann.

(2) Ernestine F. Lean, "The Imbecillitas of the emperor Claudius". Transactions and proceedings of the American Philological Association.vol. 79. (1948), pp. 79-86.

(3) Bardon. H., Les Empereurs et les letters latines, Paris, (1940).

(4) Suet. Claud. vol. 5., The Dified Claudius, Biography of Claudius.

جايوس سويتونيوس ترانكو يللوس Gaius Suetonius Tranquillus ولد عام ٧٥م وعمل معلماً للقانون والخطابة فى عصر الإمبراطور تراجان وكان صديقاً حميماً للكاتب بلينيوس الأصغر. وقد اختاره الإمبراطور هادريان كاتماً لأسراره. ولكنه اعتزل الحياة السياسية عام ١٢١م. وكرس نفسه للبحث والتاريخ. ربما مات قرب منتصف القرن الثانى الميلادى. من مؤلفاته الشهيرة كتبه عن حياة الأباطرة وتضم ١٢ إمبراطور منذ أغسطس حتى الإمبراطور 'دوميتيانوس' 'De Vita Caesarum' وهى مرآة تعكس أسرار الأباطرة وطباعهم. Grant, M. The Ancient Historians, London. (1970), Reprint 1974.

(٥) عن أسلوب خطاباته البلاغية وثقافته راجع:

Cf. Benner, M. The emperor says,.Gothenburg (1975); Roller. W.D. Scholarly Kings: The writing of Juba11 of Mauretania, Acrhelaos of Kappadokia, Herod the Great, and the Emperor Claudius. Chicago III, Ares Publishers, 2004.

(٦) وثائق عهده التى توضح شخصيته الإيجابية راجع:

Charlesworth, M.P. Documents illustrating the reigns of Claudius & Nero, Cambridge 1939; Smallwood, E. Mary, Documents illustrating the principates of Gaius, Claudius and Nero. Cambridge Univ. Press. 1967; Scramuzza, Vincent, M., "Claudius Soter Eurgetes, classical philology, vol. 51 (1940), pp. 261-266; ibid., The Emperor Claudius, Cambridge(1940, 1980), pp. 3-4, 35-50.

المؤرخون القدامى أن تقلده لعرش الإمبراطورية بعد اغتيال جايوس كاليجولا وهو فى سن الخمسين جاء بالصدفة[1]. ومن ثمّ فسوف نبحث عن الأسباب الحقيقية وراء استبعاده من ممارسة العمل العام فى عهد كل من أغسطس و تيبريوس، وسوف يناقش البحث هل كان مرشحا مقبولا لتولى العرش بعد جايوس أم أن اعتلائه العرش كان بالفعل صدفة.

مولد كلاوديوس ومرضه

بداية يجدر بنا أن نعطى نبذة سريعة عن مولد كلاوديوس حيث أنه منذ ذلك الوقت بدأت المصادر الأدبية ترسم صورة مشوهة لهذا الإمبراطور، وكان هذا بداية للتناقض والاضطراب فى أقوال المؤرخين.

كلاوديوس هو نجل دروسوس[2] بن ليفيا زوجة الإمبراطور أغسطس، وأمه هى انطونيا ابنة اوكتافيا، زوجة ماركوس انطونيوس، وأخت الإمبراطور أغسطس. لقد ولد فى شهر أغسطس عام ١٠ ق.م. فى Ligdunum ليجدونوم (ليون الحالية Lyon) عاصمة بلاد الغال.

كان دروسوس فى ذلك الوقت حاكم هذه الولاية المهمة، وكان أيضا أجدر القادة العسكريين فى خدمة الإمبراطورية، وكان متوقعاً ان يكون الوريث الشرعى للعرش نظرا لمحبة أغسطس له، لولا وفاته المبكرة عام ٩ ق.م. فى أحد حملاته العسكرية مع قوات جيش الراين[3]. هكذا كان يتوقع لهذا الطفل ذو النسب المشترك بين جديه أغسطس وأنطونيوس أن يحظى بمستقبل باهر، إلا أن الطفل الذى أسموه "تيبريوس كلاوديوس دروسوس "Tiberius Claudius Drusus"[*] فى سنوات طفولته وأوائل سن المراهقة كان ضحية مرض، لم يدعه إلا وهو معتل الصحة وأيضا مشوه المنظر، متأخر فى نموه العقلى لدرجة أن أسرته خشيت على الصبى ألا يصلح للمنصب العام.

لقد أشار إلى مرض كلاوديوس كل من "سويتونيوس Suetonius" [4] فى روايته عن سيرة كلاوديوس كذلك أشارت إليه روايات "تاكيتوس Tacitus"[5] و "ديوكاسيوس Dio Cassius"[6] وكذلك فى الهجاء الساخر الذى كتبه

---

(1) Suet.Claud. 10. (يذكر أنه صار إمبراطور وهو فى سن الخمسين وذلك بسبب الحظ المتسم بغرابة غير معقولة)

(2) Suet.Claud. 1.6 (لم يعش لأنطونيا من أطفالها إلا ثلاثة: جرمانيكوس- ليفيلا- كلاوديوس)

(3) Suet.Claud. 1.1-5.

(*) بعد ذلك منذ العام الرابع وحتى اعتلائه العرش وبعد تبنى أغسطس لأخيه جرمانيكوس أطلق عليه:
Tiberius Claudius Nero Germanicus

(4) suet.Claud. 2.4;30.

(5) Tac.Ann. 6.46.
تغطى الحوليات (Annales) للمؤرخ الرومانى تاكيتوس أحداث الفترة ١٤-٦٦م أى عهد تيبريوس إلى نيرون، إلا أن هناك فجوة فى الكتب ما بين الكتاب ٦ إلى ٩. والكتب ١١، ١٢ تغطى الفترة ٤٧-٥٤م ومن ثم فإن رواية تاكيتوس لا تغطى الأعوام الستة التى تعد سنوات بداية تولى كلاوديوس الحكم).

(6) Dio. 60.2.
هو كاسيوس ديون وأحياناً يعرف باسم ديو كاسيوس كوكيانوس Dio Cassius Coceianus وهو إغريقى من آسيا الصغرى وهناك تلقى تعليمه، دخل مجلس السناتو عام ١٨٠م وأصبح برايتور قضائياً عام ١٩٣م. فى عدد من الولايات الإمبراطورية فى أسيا الصغرى. اختير فى منصب القنصلية عام ٢٢٩م شريكاً مع الإمبراطور الكسندر سيفيروس. اعتزل الحياة السياسية وعاد إلى موطنه

كتبه "سنيكا Seneca" المعاصر لكلاوديوس الذى يدور حول "تأليه كلاوديوس"[1] Apocolocyntosis، إذ تصور تلك المصادر كلاوديوس بحركات بدنية غريبة، فمشيته متثاقلة يجر قدميه ببطء، والرعشة تظهر على يديه ورأسه يهتز وفمه يسيل منه اللعاب دون إرادة، بالإضافة إلى تلعثمه فى الكلام، ولقد حاول الكتّاب المحدثين تشخيص حالة كلاوديوس المرضيه[2] من خلال تلك الصورة التى تقدمها المصادر القديمة، ويبدو أنهم تأثروا إلى حد ما بالاشتقاقات اللغوية الموجودة فى اللغة الانجليزية واللغات الرومانية لكلمة Imbecillitas (ضعف أو وهن)، وهى مصطلح لاتينى ألصقه سويتونيوس بكلاوديوس[3].

ومن ثمّ فقد تعددت واختلفت الآراء حول إعاقة كلاوديوس البدنية بدءاً من التأخر والضعف العقلى أو الصرع إلى شلل الأطفال إلى بعض الاعتلال العصبى الخفيف[4].

حاول "روث Ruth"،[5] تفسير مرض كلاوديوس على أنه أحد أشكال شلل الأطفال بسبب أن كلاوديوس ولد مبتسرا[6] قبل اتمام الحمل مما أصابه بشلل لحظة مولده، وربما هذا يفسر حركاته البدنية التى يذكرها المؤرخون القدامى، ولكن فى نفس الوقت لا يفسر لنا روث كيفية شفاءه اللاحق بعد سنوات من كل هذه الأعراض، فهو يؤكد مثل المصادر الأدبية القديمة على قدرته الذهنية الواضحة، وتركيزه القوى، ويرفض فرضية إصابته بمرض عقلى ولا حتى جزئى، ويرى أن ما تبقى من مرضه هو بعض التوتر العصبى وشدة الهلع وفقدان السيطرة العامة على نفسه، ويرجع روث هذه الأعراض إلى المعاملة القاسية التى تعرض لها كلاوديوس وهو صبى صغير.

الأصلى وعكف على كتابه موسوعة التاريخ الرومانى باللغة اليونانية وبعد عشرين عاماً خرج عمله الضخم الذى يتناول تاريخ الإمبراطورية منذ أسطورة أينياس الطروادى حتى ٢٢٩م. وجاء ذلك فى ٨٠ مجلد مقسم حسب عصور الإمبراطورية المختلفة معطياً الأهمية للفترة التى عاصرها. ولكن أهمية هذا المؤلف تتلاشى عندما نجد الجزء الخاص ما بين ٩ ق.م، ٤٦م. (الكتب ٥٥-٦٠) ناقصة أو موجزة. ويزداد أسفنا عندما نجد الأجزاء التى تتناول الفترات التالية هى الأخرى عبارة عن شذرات. يرى البعض أنه حذى حذو بوليبيوس الإغريقى وليفيوس الرومانى سواء فى المادة أو المنهج. ويعاب عليه إيمانه بالخرافات وتملقه لحكام عصره ومحاباته للعصر الإمبراطورى وحقده على أبطال العصر الجمهورى. ولكن كل هذا لا يقلل أبداً من حيوية وصفه، ودقة عباراته. سيد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، ١٩٧٩، ص ١٣ حاشية رقم ١؛

See also, Miller. F., A Study of Cassius Dio, Oxford, 1964.

(1) Seneca. Apoc. 5. 2.

(2) Ruth. The Problem of Claudius:"Some aspects of character". Jons Hopkins Univ. (Diss.1916).- Review, Donald, M. C. Fayden, in Classical Philology, vol. 21, No.3 (1926), pp. 284-286; Ernestine, op. cit, loc. cit

(3) Suet. Claud. 6. 2; Ernestine, op. cit., p. 79.

أشار سويتونيوس إلى هذه الصفة (imbecillitas) عندما رفض تيبريوس اقتراح مجلس السناتو بضرورة أن يدلى كلاوديوس بآرائه ضمن آراء القناصل، لكن تيبريوس رفض وذكر تلك الصفة.

(4) Scramuzza, The emperor Claudius, p. 238, note 3.

(5) Review: Donald, M.C. Fayden, op. cit, loc. cit

(6) Ernestine, op. cit., p. 82. n. 10.

يعلق ايرنستاين على دراسة روث أنه لا يلزم تكون حالة كلاوديوس المرضية أنه ولد مبتسرا لأن الطفل المبتسر المولود غير مكتمل النمو يصل إلى الاكتمال قبل نهاية عامه الثانى فى حين أن أعراض كلاوديوس المرضية استمرت معه لفترة سن المراهقة.

أما ايرنستاين[1] فأنه من خلال دراسة طبية مستفيضة رأى أن هذه الأعراض التى يصفها المؤرخون القدامى وينسبوها إلى كلاوديوس تشير إلى أنه كان ضحية الشلل الدماغى أى تلف دماغى يحدث عادة عند الولادة نتيجة لسبب ما ويترك إعاقة ما فى عضلة المخ وتترك بعض الأثر، وهذا يفسر مظاهر قصور كلاوديوس البدنية، وأنماط هذا الشلل الدماغى تُصنف بالشلل التشنجى، ويُعرف الطب الحديث هذا الشلل الدماغى بأنه: اختلال السلوك العضلى نتيجة لتلف أو تشوه فى مراكز المخ التى تتحكم فى السيطرة العضلية. والمشكلة العضلية ذات أشكال متنوعة وتتفاوت بين طفل مريض وآخر، فربما يعانى الطفل من حركات عشوائية لا إرادية، أى مشكلات عضلية للذراعين والساقين وقد يعانى أيضا من قصور فى الكلام وقد يصيب التلف جزء من نسيج المخ أيضا ويتحكم فى ذكاء الطفل المصاب أو غباءه حسب طبيعة التلف المخى ومداه.

ويقرر الأطباء أن الطفل المولود لأبوين يتمتعان بذكاء فوق العادى، أن يعلو ذكاء الطفل المصاب إلى ما فوق المتوسط بشرط سلامة مراكز المخ الذهنية التى تحافظ على الذكاء من التلف[2].

هكذا يقدم لنا ايرنستاين تفسيرا طبيا لحالة كلاوديوس، فيرى أن أعراض مرض كلاوديوس كما وصفها المؤرخون القدامى تنطبق على إصابته بحالة من حالات الشلل الدماغى التشنجى، وأنه وفقا للآراء الطبية الحديثة فإن هذا يحدث لعدة أسباب[3]: قد تكون لأمراض وراثية أو نتيجة لنقص الأوكسجين بسبب الولادة المبكرة أو نتيجة إصابته بحمى أثناء الولادة أو بعدها (وهذا ما ذكره سنيكا أيضا .Apoco.6)، وإن هذا الشلل الدماغى بالنسبة لحالة كلاوديوس لم يؤثر – لحسن الحظ – على مراكز المخ الذهنية(**) وإنما فقط أصاب مراكز عضلية مما ترتب عليه مشاكل جسدية حركية فقط وهى تلك التى وصفها المؤرخون القدامى، أما عقله فلم يصبه شيئا (وهذا ما أكده روث أيضا) مما يفسر تقدمه الذهنى. ويؤكد ذلك ان هذه الإعاقة لو أصابت ذهنه فأنه لا يتحسن بمرور الوقت وهذا عكس ما حدث مع كلاوديوس حيث أكدت المصادر القديمة أنه حين صار إمبراطور كان يتمتع بقدرة ذهنية واضحة[4]. والخلاصة أن الشلل الدماغى إذا لم يؤثر على مراكز المخ الذهنية فإن الطفل المصاب بمرور الوقت يتقدم ذهنيا وعقليا مثل أى شخص آخر عاديا.

لقد أراد ايرنستاين إعادة تقييم الدليل القديم بحيث نتمكن من تحديد عجز كلاوديوس فى ضوء المعرفة الطبية الحديثة وهو يقدم لنا تفسيرا لشفاءه اللاحق، وأن ذلك كان نتيجة تطبيق نظريات إعادة تأهيل المعاقين – فهذا الشلل

---

(1) Idem, p. 81f.

يرى ايرنستاين أن مشكلة كلاوديوس ربما تكون ظهرت قبل الولادة أو بعدها وربما أثناءها وذلك من خلال ملاحظة التاريخ الطبى لأمه أنطونيا ويرجح أن المشكلة حصلت أثناء الولادة ويدعم رأيه أن أنطونيا فقدت عدة أطفال قبل ولادة كلاوديوس. واستنادا على رواية سكريبونيوس لارجوس (٢٧١): فإنها كانت تستعمل مرهم طبى مسكن له علاقة باضطراب فى الإبصار وجفاف غير طبيعى للعين مما يشير أنها كانت تعانى من مشكلة طبية لها علاقة باختلال فى وظائف الغدد التى تفضى إلى مشاكل معقدة عند الولادة، وأن رأس كلاوديوس الضخمة التى تظهر فى صوره وهو كبير ربما تساهم فى ثبوت إصابة ما عند ولادته

(2) Ernestine, op. cit., p. 82 & n.10, p. 83.

(٣) لمزيد من المعلومات الطبية راجع دائرة المعارف الطبية Pubmed.: Infantile Paralysis, pp.1230 ff.

(**) مراكز المخ ثلاثة: ذهنية تتحكم فى الذكاء والإدراك العقلى – عضلية تتحكم فى الحركة – دوافع ومشاعر تتحكم فى التصرفات السلوكية

(4) Suet. Claud. 31

الدماغى يجعل قدرته الذهنية فوق المتوسط، لكن يحتاج إلى وقت حتى ينضج اجتماعيا وإلى تدريبات خاصة حتى يصير طبيعيا، ولأن كلاوديوس كان أحد نسل الذرية اليوليوكلودية من جانب وأحد النسل الانطونى من الجانب الآخر، إذن فرضية أن يرث كلاوديوس المقدرة الذهنية التى تربو على المعدل المتوسط لها فرصة كبيرة[١]، ومع إعاقته البدنية فأن كلاوديوس استغرق وقتا حتى ينضج اجتماعيا.

الروايات حول مرض كلاوديوس والتعليق عليها

فى الواقع إننا نقرأ فى المصادر الأدبية الكثير عن تلك الإعاقة، واعتمادنا فى الأساس على شهود العيان من أفراد أسرته، الذين نتوقع أن تغلب عليهم الحيدة والموضوعية، إلا أنه ينبغى علينا أن نستخلص من أقوالهم ما هو مقبول موضوعيا.

فهذا سويتونيوس[٢] فى سرده لطفولة كلاوديوس يحدثنا أن أم كلاوديوس انطونيا ابنة ماركوس انطونيوس، لا تحمل لابنها اى تعاطف نظرا لتلك النقائص التى كانت لدى ابنها!

> "وكانت أمه أنطونيا تطلق عليه أحياناً أنه بشع الخلقة لم يكتمل تكوينه، وإن كانت الطبيعة قد بدأته. وإذا هى اتهمت أى شخص بالبلادة، فإنها كانت تقول أنه أكثر حماقة من ابنها كلاوديوس".
>
> *"Mater Antonia portentum eum hominis dictitabat, nec absolutum a natura, sed tantum incohatum; ac si quem socordiae argueret, stultiorem aiebat filio suo Claudio"*

أما جدته ليفيا فكانت تعطيه تعليمات موجزة عن طريق رسل وسطاء بينها وبينه[٣].

كذلك يحدثنا سويتونيوس[٤] أن كلاوديوس الصغير بسبب ضعف صحته، كان يرتدى عباءة فضفاضة (لإخفاء حركاته البدنية المتشنجة) – خلافا لأى سابقة – عندما كان يترأس ألعاب المصارعة التى كان هو وشقيقة جرمانيكوس يُجريها تشريفا لوالدهما. أما فى اليوم الذى كان يفترض أن يلبس فيه الحُلّة المناسبة للرجولة، فقد نقل إلى الكابيتول نحو منتصف الليل بدون وجود الحرس المعتاد. وأنه ظل لمدة طويلة حتى بعد أن بلغ سن الرشد فى حالة من الصبيانية وتحت الوصاية. وقد بدا هو نفسه يشكو فى إحدى كتبه هذا الشخص الوصى عليه، قائلا إنه:

---

(١) إن السرد التاريخى لحكم كلاوديوس ودليل النقوش وأوراق البردى المكتشفة حديثاً الخاصة بعهده تبين أنه بلا شك كان يمتلك عقلا راجحاً متزناً فوق المتوسط.

Cf.Arnaldo Momigliano, Claudius the Emperor and his Achievement (Oxford, 1934); Scramuzza, The Emperor Claudius, p.64 ff; Tayler, T., Claudius: The Administrater? London, 1998.

هناك أمثلة توضح رجاحة عقله، أنظر خُطب الإمبراطور، خاصة خطابه فى السناتو والخاص برغبته فى دخول زعماء الغال إلى المجلس (Tac. Ann. XI. 23)، وكذلك خطاب الإمبراطور إلى شعب الإسكندرية (P. Lond. 1912). وكذلك خطابه إلى أعضاء السناتو بشأن بعض الإصلاحات القضائية فى (BGU, 611. col. 111).

(2) Suet. Claud. 3. 2.

(3) Suet. Claud. 3. 2.

إن إيثار ليفيا للتواصل التحريرى مع كلاوديوس الصغير يرجع إن تبادل الرسائل فى الأسرة الإمبراطورية كان أمر معتاد (مثل خطاب أغسطس إلى ليفيا (Suet.4).

(4) Suet. Claud. 2. 2

"لفترة طويلة حتى بعد أن بلغ سن الرشد وضعوه تحت وصاية وتربية شخص بربرى عمل كرئيس سائقى بغال فى السابق، وضع تحت مسئوليته كعقاب له يتسم بكل قسوة ممكنة (لا مبرر لها) لأى سبب كان"(١).

"Diu atque ctiam post tutelam receptam alieni arbitrii et sub paedagogo fuit; quem barbarum et olim superiumentarium ex industria sibi appositum, ut se quibuscumque de causis quam saevissime coerceret".

ورغم ما قد يبدو من مبالغة فى تلك الروايات إلا إنه يمكن تفهم مشاعر أسرة كلاوديوس، بالنظر إلى وجهاء الذرية اليوليوكلودية ذو الوسامة أغلبهم، بينما أحد أفراد هذه السلالة لم يوهب الوسامة ذاتها، خاصة وأن أخيه الأكبر هو جرمانيكوس، محبوب أغسطس والشعب، فإن الصبى كلاوديوس فى مرحلة المراهقة وحالته الصحية هذه، كان من الطبيعى ألا يتصرف بوقار متوقع من أمير أحد أفراد الأسرة الإمبراطورية – ومن ثمّ كان من الطبيعى أن يلقى معاملة الإهمال– لكن الأمر لا يصل بالطبع إلى درجة النفور، إلا إنه كان ينظر إليه باعتباره مريض يجب إخفاءه من الظهور العلنى العام خشية أن يجلب الخجل للأسرة .

فهذا جده أغسطس يناقش تلك المشكلة فى خطاباته إلى ليفيا وقد أوردها سويتونيوس:

"قد تحدثت يا عزيزتى ليفيا مع تيبريوس (يقصد تيبريوس ولى العهد وعم كلاوديوس) كما طلبتى منى فيما يتعلق بما يجب أن يتم إزاء حفيدك تيبريوس فى ألعاب مارس. "الآن نحن متفقون أن كل منا يجب أن يقرر لمرة واحدة ما هو البرنامج الذى ينبغى علينا أن نتبعه لحالته"(٢).

"Collocutus sum cum Tiberio, ut mandasti, mea Livia, quid nepoti tuo Tiberio faciendum esset ludis Martialibus, Consentit autem uterque nostrum, semel nobis esse statuendum, quod consilium in illo sequamur

"فلو كان سليما (متكاملا) فما من سبب يدعونا للشك فى ضرورة تقدمه عبر نفس مدارج الارتقاء الوظيفى التى مر بها شقيقه قبله؟ ولكن إذا اكتشفنا أنه ناقص يفتقر إلى الصحة البدنية والذهنية (الحواس) فعلينا ألا نقلل من قدراته وأن نعُد أسباب التهكم به وبنا على حد سواء أمام البشر – إن ذلك لأمر مخجل"(٣).

"Nam si est artius, ut ita dicam, holocleros, quid est quod dubitemus, quin per eosdem articulos et gradus producendus sit, per quos frater eius productus sit? Sin autem ἠλαττῶσθαι sentimus eum et βεβλάφθαι καὶ ἐις τὴν τôν σώματος καὶ ἐις τῆν ψηχῆς ἀρτιότητα, praebenda materia deridendi et illum et nos non est hominibus τὰ τοιαυτα σκώπτειν καὶ μυκτηρίξειν ἐιωθόιν,

(1) Suet. Claud. 2.6.; cf. Graves, R., Claudius: from the autobiography, New York, 1989.

(2) Suet. Claud. 4. 1.

(3) Suet. Claud. 4. 1-2.

من هنا نفهم المبرر الذى أعطى فى عدم ظهور كلاوديوس الصغير عندما كانت المناسبة تتطلب ظهوره وهو إصابته بالحمى على نحو ما يذكر سنيكا(١). أليس هذا هو المعتاد حدوثه إلى الآن عند بعض العائلات بإعطاء معاذير مماثلة فى تبرير غياب أبناء لها معاقين عن حضور لقاءات اجتماعية؟!

إلا إنه رغم الانتقادات التى وجهت إلى الصغير كلاوديوس من أسرته فإنه من الثابت أيضا أنه من حسن طالع الطفل إنه وجد تعاطفا ومساعدة من بعض أفراد أسرته. فهذا جده أغسطس كما رأينا يناقش أمره مع ليفيا ويبحث عن ضرورة اتخاذ اللازم نحو حالته المرضية.

وفى خطاب آخر من أغسطس إلى ليفيا يقول لها(٢):

" لاشك إننى سأدعو تيبريوس الصغير إلى العشاء كل يوم أثناء غيابك وذلك حتى لا يتناول العشاء بمفرده مع أصدقاءه اثينودورس Athenodorus و سولبيكيوس Sulpicius

"إننى كنت أتمنى أن يختار بدقة وبشكل أكثر تركيزا شخصا يحاكى حركاته وعاداته وجلسته".

Qui vellem diligentius et minus μετεώρς deligeret sibi aliquem, cuius motum et habitum et incessum imitaretur.

إذن فأغسطس حريص على أن يضع معلما خاصا لحفيده، حتى يحاكى حركاته. أما قول سويتونيوس واصفا هذا المعلم إنه كان بربريا وضابطاً سابقا مسئول عن عربات البغال، ويقول إن هذا الوصف ذكره كلاوديوس نفسه فى أحد كتبه عن هذا المعلم! فإن هذا يبدو طبيعياً – فكما هو معتاد مع الأطفال – أن يرفض كلاوديوس معلمه الذى قد يقسو عليه، ويسخر منه ويصفه بهذا الوصف، لكن هل كان يصعب على الإمبراطور أغسطس أن يجد معلما جيدا لحفيده! خاصة وأن الإمبراطور فى نفس الفقرة أعلن عن إعجابه بخلق حفيده قائلاً:

"الفتى المسكين عاثر الحظ حين يتزن أو (يركز) ذهنه يبرز نبل شخصيته بدرجة كافية"(٣).

Misellus ἀτυχει nam ἐν τοῖς σπουδαίοις, ubi non aberravit eius animus, satis apparet ἡ τῆς ψηχῆς αὐγενεία ..

إن اهتمام الأسرة بكلاوديوس وصل إلى درجة القلق والتردد والانقسام فى الرأى. عرفنا هذا من خلال أسئلة طرحتها جدته ليفيا على أغسطس فكتب يقول:

"إننا سنكون فى اضطراب وقلق لو إننا ترددنا كل مناسبة ولم نتخذ قرارا فيما إذا كان (كلاوديوس) يستطيع شغل مناصب عامة أم لا "(٤)....

---

(1) Senc.Apoc. 6-1.

(2) Suet.Claud. 4.5.

(3) Suet.Claud.4.5.

(فى الحقيقة أن هذا النبل فى الشخصية أيضا يمكن أن نلاحظه مع المرضى من هذا النوع فهم يتمتعون عادة بصفاء نفسى ونُبل اخلاقى).

(4) Suet.Claud.4. 2-3.

"Nam semper aestuabimus, si de singulis articulis temporum deliberabimus, μὴ προὒποκειμένου ἡμῖν posse arbitremur eum gerere honores necne ...."

أمّا فيما يتعلق بالأمور التى طلبتى نصيحتى فيها، فإننى لا أعترض على اضطلاعه بمسئولية ترأس مأدبة الكهنة فى ألعاب مارس، شريطة أن يخضع لنصح قريبه ابن سيلفانوس حتى لا يصدر أى تصرف يثير التهكم والسخرية ...... ".

"والآن يا عزيزتى ليفيا تفهمين آرائى فى اتخاذ قرار للأمر كله حتى لا نكون دائماً فى تردد (حيرة) بين مشاعر الخوف والرجاء"[1].

Habes nostras, mea Livia, sententias, quibus placet semel de tota re aliquid constitui, ne semper inter spem et metum fluctuemur.

هكذا يتضح أن أغسطس فى تلك اللحظة التى يكتب فيها هذا الكلام لم يستطع الاستقرار بعد على رأى معين بسبب وجود انشقاق فى الرأى داخل الأسرة القيصرية، فهناك فريقان؛ فريق يرى أن الصبى معاب فى صحته البدنية ولابد أن يعزل عن الحياة العامة خوفا من القيل والقال، وفريق آخر لا يمانع من مزاولته للعمل العام ومن ثمّ هم بين مشاعر الخوف والرجاء. لقد رأى أصحاب هذا الفريق المتفاعل علامات تقدم لدى الصبى ومن ثمّ فقد حرصوا على توفير معلم له للقراءة هو ليفيوس[2] Livius وإعطاءه دروسا خاصة فى التاريخ. وكان كلاوديوس يبدى تطورا ملحوظا فى قدراته لدرجة أن أغسطس نفسه كان مندهشا لهذا التحول والذى يوعد بتقدم غير متوقع فكتب[3]:

" إذا لم أكن مندهشا يا عزيزتى ليفيا من أن حفيدك تيبريوس استطاع أن يسعدنى بما يمتلكه من خطابه منمقة. كيف شخص يفتقر حديثه إلى الوضوح يصير قادرا على التحدث بهذه البلاغة والأسلوب الخطابى، إن هذا الأمر لم أره!".

"Tiberium nepotem tuum placere mihi declamantem potuisse, peream nisi, mea Livia, admiror. Nam qui tam ἀσαφῶς loquatur, qui possit cum declamat σαφως dicere quae dicenda sunt, non video".

---

(1) Suet. Claud. 4. 4-4.

(٢) كرّس تيتوس ليفيوس (٥٩ ق.م./ ١٧م. تقريبا) نفسه لكتابة تاريخ روما منذ نشأتها حتى موت دروسوس عام ٩ ق.م. وعُرف كتابه باسمه منذ تأسيس المدينة Ab urbe condita libri . ضم تاريخه ١٤٢ كتابا لم يبقى منها سوى الكتب ١-١٠، ٢١-٤٥. الكتاب الأول يحكى تاريخ ملوك روما، وتضم الكتب ٢١-٣٠ قصة الحرب مع هانيبال، من مصادره المؤرخ الاغريقى بوليبيوس. وكذلك كاتو الأكبر. يبرز تأثره بفلاسفة المذهب الرواقى ويرى أن الورع والتقوى pietas والفضيلة virtus هما ركيزتان فى بنيان الدولة الرومانية، وكما استخدم فرجيليوس الشعر، استخدم ليفيوس النثر، بهدف تثقيف قُرائه من الرومان وتحسين أخلاقهم، فاستخدم التاريخ كمرآة تريهم أنفسهم كأحسن ما كانوا حتى يستعيدوا مجد أجدادهم. أما من حيث خصائص كتابته فإنه يرى أن نماذج الشخصيات التاريخية هى التى تشكل مسار الأحداث ومن ثم يشير السرد عند ليفيوس إلى تأثره بأسلوب قيصر، بينما تشهد المقتطفات من كلام الشخصيات وأقوالهم بتأثره بالخطابة الشيشرونية (المرجع. أحمد عتمان: الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى. ص ص ٣٣٣-٣٣٥؛ سارتون. ج، تاريخ العلم، ترجمة لفيف من العلماء، ج ٦، القاهرة (١٩٧٨)، ص ١٠٣.

(3) Suet. Claud. 4. 6.

فهل كان أغسطس حين اندهش للحالة التى كان عليها الطفل جاهلا للأسباب الفسيولوجية والسيكولوجية وراء تصرفات كلاوديوس؟

فى الواقع أن الطب الحديث يجيب على دهشة أغسطس تلك، وكما ذكرت سابقا فإن حالة الشلل الدماغى نتيجة اختلال السلوك العضلى التى يصحبها عدم وضوح فى الحديث لا يصحبها عادة عدم قدرة على الكتابة والبلاغة، فما يعانيه المريض من عدم وضوح الحديث هو مشكلة كلامية تأتى من قصور فى جهازه العضلى التخاطبى وهذا له عدة أسباب منها التوتر العصبى أو ضغط الإثارة أو الارتباك والخجل، ومن ثمّ فعدم وضوح الكلام أو التلعثم ليس له علاقة بعدم قدرة على التفكير السليم.[1] وكما تأثر الإمبراطور أغسطس بتقدم كلاوديوس الخطابى البلاغى فإنه أيضا أعلن عن إعجابه بخلق حفيده كما سبق الذكر.

هكذا يبدو أن الطفل كلاوديوس كان يتقدم بشكل ملحوظ، ولقد سعى إلى تكوين صحبه له من بين مجموعات خارج دائرة أسرته الذين وجد من بعضهم بعض الإهمال أو التهكم بسبب بعض القصور فى نطقه اللاتينية (تلعثمه). ولعل طريقة نطقه لم تنفر منه أولئك الذين ظلت اللاتينية لغة أجنبية لهم أو أولئك الذين لم يهتموا بالكلام الدقيق، فاتخذ أصدقاء له بعضهم من أصل يونانى كانوا يتناولون معه عشاءه على نحو ما يذكر سويتونيوس[2]. كذلك اتخذ اجريبا اليهودى[3] – ضيف القصر – صديقا له. كذلك اكتسب كلاوديوس رفقاء له طيبين من العبيد المحررين[4] خاصة وإنه من الملاحظ أن الأناس الأقل تميزا وثروة – باستثناء أولئك الذين صاروا على قسوة ووحشية لشعورهم الحاد بالدونية – هم أكثر تسامحا ورفقا مع المعاقين، من الذين أكثر حظوة وثروة.

ويرى Ernestine أن كلاوديوس كان يترك كثيرا لنفسه وأنه كان لا يستطيع أن يضم إصبعه الإبهام إلى أصابعه الأخرى (كما هو مع كثيرين من ضحايا الشلل الدماغى) فإن هذا شجعه على أن يزاول لعبة النرد بقالب النرد (كوبى الشكل) فيستخدمه لضم أصابعه ويعد هذا حاليا أحد أشكال العلاج الطبيعى ضمن عمليات إعادة تأهيل غير القادرين جسديا، وذلك بتدريب المعاق على تحريك الأعضاء المصابة حتى تعمل بشكل طبيعى[5] وعلى ذلك فإن استمرار لعب كلاوديوس بالنرد ربما استحال إلى شكل من أشكال العلاج الطبيعى، وليس سعيا وراء إدمان

---

(١) وصلت إلى هذا الرأى بعد سؤال أساتذة الطب النفسى المتخصصين. وكذلك أثناء عملى فى امتحانات اللجان الخاصة حيث أننى شاهدت طلاب أكدّوا لى هذه المعلومة الطبية، فهم يحتاجون عند اجابة الاختبارات إلى نوعية خاصة من ملاحظين اللجان تساعدهم على توفير الهدوء النفسى وعدم الارتباك حتى يستطيعون التركيز الذهنى والنتيجة فى الغالب تكون مذهلة.

(2) Suet. Claud. 4. 5.

(3) Josephus, AJ.19.4.5; Scramuzza, op.cit.,p.12 ff., 57 ff; cf. Smallwood, E.M. The Jews Under Roman Rule from Pompy to Diocletian (Leidem, Brill 1976).

ناقشت م. سكراموزا علاقة كلاوديوس بأجريبا بشكل مطول فى بحثها.

(4) Suet.Claud. 40.2.

لقد وجد كلاوديوس معاملة طيبة من تلك الطبقة الاجتماعية ومن ثمّ حين صار إمبراطور ساند ترشيح نجل عبد محرر بالقصر لوظيفة الكوايستور لمجرد أن والده سبق وأعطاه بعض الماء البارد أثناء مرضه وكان فى حاجه بالفعل للماء. عن عبيد الإمبراطور المحررين فى الأسرة القيصرية راجع:

Weaver, R.C. Familia Caesaris: a Social Study of the Emperor's Freedmen and Salves. Cambridge U.P., 1972; Treggiari, S., "Domectic Staff at Rome in the Julio-Claudian Peroid, 27 BC. To Ad. 68", Social History, VI (1973), 241-55.

(5) Ernestine, op. cit, p. 85.

القمار والرذيلة على نحو ما يفسره القدامى وعلى رأسهم سويتونيوس[١]، الذين عنفوه لأنه كان يزاوله بدرجة مفرطة، وبنفس التحليل الطبى يمكن تفسير أيضا افراطه فى الطعام الذى يتحدث عنه المؤرخون فلأن كلاوديوس قد تعرض للعزلة المجتمعية فى مرحلة مبكرة من حياته فقد كان يلجأ إلى الإفراط فى الطعام كتعويض عن سوء التوافق الاجتماعى أو الحزن[٢]، وتصور المصادر استمراره فى هذه العادات حتى بعد أن صار إمبراطورا. ولقد استغل صانعى النكات هذه العادة فذكروا أنه كان يظل يأكل ويأكل حتى ينام وذلك حتى فى المحكمة وكانوا لهذا يستهزئون به، ولم يثنيه شىء عن مواصلة الأكل بنهم حتى حالة سوء الهضم الحاد التى تلى الإفراط فى الطعام لم توقفه[٣]. وبنفس تحليل الطب النفسى يمكن تفسير ميل كلاوديوس للنساء، خاصة وأن سويتونيوس يذكر أن هذا الميل للنساء كان من غير رذيلة[٤].

ومن ثمّ فإنه يمكن استنتاج أن اتهامات المؤرخين المتناولين لسيرته والتى تصل إلى حد السخرية منه، وتعليقات معاصريه أو تعنيف أقاربه إياه كانت أساسا ناتجة عن عدم فهم للحالة المرضية الخاصة بكلاوديوس من ناحية وسوء التكيف الاجتماعى المبكر للحالة المرضية من ناحية أخرى وهذا يفسر المنظور الخاص لتلك المعاملة التى تلقاها من أسرته أو اقرانه بسبب تلك الإعاقة.

وفى الحقيقة إن الصور التى عرضت لملامح كلاوديوس والتماثيل النصفية التى تمثله فى السنوات اللاحقة عندما صار إمبراطور لا تعرض لنا ملامح شخصية منفرة وإنما تعرضه بملامح أشبه بعمه تيبريوس مع بعض الاختلافات الطفيفة مثل نظرة العين حيث يتبين نظرة شخص اعتاد الحذر من شئ ما، خلافاً لنظرة تيبريوس الهادئة[٥]. أمّا سُمك عضلات العنق لدى كلاوديوس فمرجعها إلى الغدد المتضخمة، وربما تضخمت (تورمت) نتيجة الجهد المبذول من جانبه فى إبقاء رأسه قائما منتصبا حتى يتجنب حركة اهتزاز الرأس اللاإرادية[٦]، وكما

---

(1) Suet. Claud. 33.2.

(2) Ernestine, op. cit. loc. cit

(3) Suet. Claud. 33.1.

"كان نهماً للطعام والشراب فى كل وقت وحيثما كان، حتى أنه ذات مرة وبينما هو فى المحكمة فى الفوروم الأوغسطى إذ به يجد وجبة مجهزة للكهنة (Salii) قريبة منه فى معبد مارس، فما كان منه إلا أن غادر المنصة وقام إلى حيث الكهنة ليأخذ مكانه على مأدبتهم وقام من المأدبة ممتلىء البطن والفم ثم ذهب لينام فى الحال راقدا على ظهره فاتحا فمه وسقطت ريشة فى حنجرته فخفف قليلا من معدته....".

"Cibi vinique quocumque et tempore et loco appetentissimus, cognoscens quondam in Augusti foro ictusque nidore prandii, quod in proxima Martis aede Saliis apparabatur, deserto tribunali ascendit ad sacerdotes unaque decubuit. Nec temere umquam triclinio abscessit nisi distentus ac madens, et ut statim supino ac per somnum hianti pinna in os indretur ad exonerandum stomachum".

(4) Suet. Claud. 33. 2.

"كان منجرفاً تماماً فى شهوته تجاه النساء وكان محبا للألعاب كثيرا حتى عندما كان يقود مركبته كان يلعب أيضا ويهيئ وضع مركبته بحيث لا يقطع اللعب".

"Libidinis in feminas profusissimae, marum omnino expers. Aleam studiosissime lusit, de cuius arte librum quoque emisit, solitus etiam in gestatione ludere, ita essedo alveoque adaptatis ne lusus confunderetur."

(5) Suhr.E.G., "A portrait of Claudius" Am.J.Arch., 59 (1955), p. 319-322.

(6) Baring-Gould, The Tragedy of the Caesars, London (1923), p. 467; cf.Ernestine, op. cit., p. 84.

أن تضخم الرقبة قد يكون من أسبابه أيضا العوامل الوراثية أو يعود لممارسة الألعاب الرياضية مثل حمل الأثقال.

توضح صور كلاوديوس شفاءه من المرض فإن الصورة التي رسمها سويتونيوس له في مرحلة نضجه توضح كذلك نفس الشئ أي شفاءه اللهم استمرار بعض الأعراض الطفيفة إذ يصفه بأنه:

"لم يكن يفتقر هيئة السلطة والوقار وبخاصة عندما كان يقف أو يجلس بهدوء (رزانة) أو متكئاً إذ كان يتميز (يمتلك) بقوام رشيق ووجه جذاب وشعره أبيض، ورقبة ممتلئة"[١].

Auctoritas dignitasque formae non defuit ei, verum stanti vel sedenti ac praecipue quiescenti, nam et prolixo nec exili corpore erat et specie canitieque pulchra, opimis cervicibus;

ولكن سويتونيوس[٢] يعود ويصف مرة أخرى حالته المرضية التي سبق وذكرها وهو صبي رغم تأكيده على شفاءه من المرض! فيذكر أنه: عندما كان يسير كانت ركبتاه الضعيفتان تتراجعان تحته، كما كانت ملامحه كثيرا ما تبدو غير مقبولة خاصة في لحظات انهماكه بعمل. كانت ضحكته خالصة لا تصنع فيها. وغضبه أكثر إثارة للامتعاض حتى أنه ربما يرغي ويزيد ويتقطر أنفه ثم أنه كان يتلعثم في الكلام أحيانا ودائما كان يرتعد بشدة خاصة عند بذل أدنى مجهود.

"كانت صحته معتلة فيما سبق وصارت ممتازة وهو إمبراطور باستثناء ألم المعدة الذي ينتابه".

"Valitudine sicut olim gravi, ita princepes prospera usus est excepto stomachi dolore".

وفي موضع ثاني يقول[٣]: بالإضافة إلى كرامته الشخصية فقد كان متواضعا ولا يزهو بنفسه بسبب تقلد السلطة بل كان يزهد في التسمية باسم إمبراطور رافضا الألقاب الشرفية المفرطة.

في موضع ثالث يقول سويتونيوس[٤]:

"وفي حُكمه للقضايا واتخاذ القرارات فيها كان لديه تناقضا عجيبا في المزاج الانفعالي فبينما كان متأنيا وثاقب الفكر نجده أحيانا أخرى متعجلا وغير مكترث بل تجده أحيانا أحمقا (هائجا) كالمجنون".

"In cognoscendo autem ac decernendo mira varietate animi fuit, modo circumspectus et sagax, interdum inconsultus ac praeceps, nonnumquam frivolus amentique similis".

هكذا فإن رواية سويتونيوس لا تسلم من الاضطراب ففي الوقت الذي نجده يمدحه نجده يذمه أيضا[٥]!

---

(1) Suet. Claud. 30.

(2) Suet. Claud. 30; 31.

(3) Suet. Claud. 21.1; cf. Tac. Ann. XI. 25.

أن تاكيتوس وهو يروى أعمال الإمبراطور كلاوديوس أثناء توليه منصب الرقيب يذكر أنه رفض اقتراح القنصل بأن يطلق عليه لقب أبو السناتو كذلك رفض كلاوديوس في الخطاب الموجه إلى شعب الإسكندرية مظاهر التأليه التي قدموها له (See: P. Lond .1912.)

(4) Suet. Claud. 15; cf. Seneca, Apoc. 12. p. 398.

(٥) إن هذا التناول المضطرب لسيرة كلاوديوس والتناقض تكرر في روايات المؤرخين القدامى، حيث يركز المؤرخون القدامى على إبراز الجوانب السلبية والإيجابية أيضاً في شخصية كلاوديوس، هذا التناقض في الشخصية جعلها أشبه ما تكون بلغز محير!

ويبدو أن المؤرخين القدامى أصرّوا على التأكيد على تلك الإعاقات الجسدية، التى عاش بها كلاوديوس فى صغره، حتى رغم تحسنه الواضح حين نضج وحين صار إمبراطور، وذلك باعترافهم هم أنفسهم، فمثلا ديوكاسيوس[1] يذكر أن كلاوديوس هو الذى ادخل بدعة الجلوس إذ كان يلقى خطابه على السناتو وهو جالساً. فيبدو أن كلاوديوس حتى يركز على القراءة دون الاضطرار إلى مقاومة الميل اللاإرادى لديه أثناء الوقوف فإنه كان يلجأ إلى الجلوس مثلما كان يتغلب على تلعثمه فى الكلام (على نحو ما يذكر تاكتيوس[2] وكذلك سويتونيوس)[3] عندما كان يقرأ مخطوط أو يلقى كلاما من الذاكرة بلهجة خطابية منمقة. إن هذا إن دلّ على شىء فإنه يدل على رغبة كلاوديوس فى تخلصه من بقايا بعض الأعراض المرضية التى ظلت تلازمه عند الكبر.

وخلاصة ما سبق ... فإنه من اليسير تفهم سر تلك التصرفات غير الطبيعية التى صدرت من كلاوديوس وذلك بسبب تلك الحالة المرضية التى أصابته عند الصغر، ومن ثمّ فإنه كان موضع استياء وقلق من أسرته الإمبراطورية. ولكنه مثل أى شاب طبيعى من أسرة راقية لديه طاقة كان يوزعها بين حب الطعام واللعب والمرح والصداقة مع غيره من أبناء الطبقات الراقية .. ولعل شعوره بتعنيف الأسرة له أحيانا جعله ينعزل اجتماعيا ويلجأ إلى عادات رآها المؤرخون القدامى سيئة مثل الإكثار من لعبة النرد أو الصحبة مع أفراد أقل منه اجتماعيا. ومن ثمّ فإن كلاوديوس قد مر بمرحلة طفولة ومراهقة تجمع بين الإهمال تارة والتعنيف على اللزمات الغريبة الخرقاء تارة أخرى، والعناية والمساعدة تارة ثالثة. فهو أمير عضو ضمن أفراد آل بيت جدته لأبيه ليفيا ومن ثم فإن حالته تحسنت بالتدريج من خلال عناية خاصة من أسرته بل قد يكون اهتمام شخصى من كلاوديوس نفسه ورغبة منه فى تحدى المرض والشفاء منه، ومن ثمّ كان تقدمه الملحوظ فى الدراسة لدرجة أدهشت أغسطس، ورغبة قوية من ليفيا فى توليه العمل العام، كذلك فإن صور تماثيله وشهادة المؤرخين القدامى أنفسهم تشهد أن صحته كانت معتلة فيما سبق إلا إنها كانت ممتازة عندما صار إمبراطوراً وأن ما تبقى من أعراض تظهر مع الإجهاد العصبى المفرط تحت ضغط الإثارة[4]. ورغم كل هذا إلا أن الكتّاب القدامى ظلوا يتهكمون على تلك الأعراض المرضية وسجلوها باعتبارها نقاط مذمومة وركزوا عليها وقد بالغوا فى كتابتهم وجعلوه موضع للسخرية والاستهزاء خاصة سنيكا[5] وسويتونيوس[6].

See: Suet. Claud. 6.1, 12.3; 17; 18; 20; 21; 34; 35.6; 36; 37; 39.2; 40.3.; Tac. Ann. XI, 25.7; XIII. 3.2; Dio, 60. 2.4; 3.2, 5; 5.1; 6.1; 7.4; 11.6-8; 12; 16.3; 27.5; Dio. 61.10. 2.

(1) Dio. 60.2.

(2) Tac. Ann. XIII, 3.

(3) Suet. Claud. 4. 6.

(٤) حدث هذا عندما فشل ذلك العرض الضخم الذى خطط له بعناية عن مشروع جرف مياه بحيرة أوستين فصدر عنه سلوك جعله موضع تهكم المؤرخين، فعندما أصيب بالإحباط فقد سيطرته العضلية فكان يمشى بطول شاطىء البحيرة وارتد إلى مشيته الطفولية المتثاقلة حيث يجر قدميه. (cf. Suet.Claud. 21.6)

(5) Seneca Apoc. 5.2; cf. Osgood, Josiah. "The vox and Verba of an Emperor: Claudius, Seneca and Le Prince Ideal". The classical Journal 102, no. 4. (2007) 329.

(6) Suet. Claud 8.

"يذكر سويتونيوس أنه كان أحياناً يستيقظ على صوت سياط المهرجين أو انهم يستخدمون أيضاً خفين فيضعونها على يدى كلاوديوس وهو يصدر شخيره أثناء نومه بحيث إذا نهض فجأة يفرك عينه أو وجهه بهذين الخفين"!

وبعد تناول مرض كلاوديوس وقد أطلت فيه وذلك لأنه يعد عاملاً أساسياً في اتهامات عديدة لصقت بكلاوديوس مثل وقوعه تحت سيطرة عبيده المحررين أو زوجاته[١] وتصوير المؤرخون له أنه كان دمية في يدهم يحركونه كما يشاءون، أو اتهامه بالحمق والبلادة[٢] وعدم أحقيته في الحصول على منصب عام أو الوصول إلى عرش الإمبراطورية، وانشغاله بدراساته الأدبية. ومن ثم فإننا نستكمل البحث في مناقشة هذا الأمر الأخير، وهو اهتمامات كلاوديوس الأدبية أو ثقافته وإلى أى مدى كان تأثيرها على شخصيته وفكره السياسى من ناحية وعلى فكرة استبعاده عن السلطة من ناحية أخرى.

أمّا عن ثقافته واهتماماته الدراسية فإن الشاب الأمير الحساس يبدو أنه شعر بعداء خفى أو إهمال فى نفوس أقاربه وهذا جعله يهرع إلى الدراسة الأدبية يبتغى فى ظلال التاريخ الوارف زاده. يذكر سويتونيوس[٣] أن كلاوديوس كان شغوفاً تماما لدراسة الفنون والآداب العقلية الحرة Liberalia Studia، وقد كتب عشرين كتاباً عن تاريخ الاتروسكيين وثمانية كتب حول القرطاجنيين[٤] ويبدو أن هذه الكتابات كانت بتشجيع من أستاذه ليفيوس Livius ومساعده سولبيكيوس F.Sulpicius. حيث يتضح تأثره بكتابات أستاذه وتوجهاته من خلال اهتمامه بتلك الفترة التاريخية بعينها وهى التى كتب فيها أيضا أستاذه ليفيوس (أعنى كتابه عن تاريخ ملوك روما وكذلك كتبه عن حروب روما مع قرطاجة[٥]. إن هذه الأعمال كتبت بلغة المثقفين المألوفة أى اليونانية، وهذا يلفت الانتباه إلى ثقافة ثقافة كلاوديوس[٦] لقد تحققت لهذه الكتابات أن يقرأها المثقفون عامة، خاصة بعد اعتلاء كلاوديوس للسلطة حيث كانت هذه الكتابات تدرس بشكل مستمر على مدار العام داخل موسيون الاسكندرية فى المبنى الملحق به والذى يسمى باسم المؤلف نفسه (الكلوديانى).[٧]

هذه الكتابات لا يمكن معرفة ما إذا كان كلاوديوس قد كتبها وهو إمبراطور أم كانت من دراساته الخاصة التى كتبها فى شبابه، حيث أن ملاحظة سويتونيوس غير مرتبة ترتيباً زمنياً إلا أنه من المؤكد أن شغف كلاوديوس بالقراءة واهتماماته التاريخية التى ظهرت فى شبابه Adulescentia على نحو ما يذكر سويتونيوس، بدأت معه وهو صغير وظلت معه طوال حياته ولعل الكتابه عنده صارت عادة حتى حين صار إمبراطور[٨].

---

(1) Tac. Ann. XI. 30; 35; 38; XII, 53; Suet. Claud. 36

(2) Seneca. Apoc. 3.2, 4. p. 374.

(3) Suet. Claud. 40. 3.

(4) Suet. Claud. 42.2

(٥) راجع ليفيوس فى حاشية رقم ٣٥.

(6) Suet. Claud. 42.1

يشير سويتونيوس إلى ميل كلاوديوس للغة اليونانية ويتضح ذلك عندما أعلن فى خطابه فى السناتو أن إقليم أخايا عزيز عليه بسبب الثقافة المتقاربة، كما أنه كان يستشهد فى خطبه بكثير من السطور الشعرية لهوميروس

Cf. Bardon, op. cit. p. 127

(7) Suet. Claud. 42. 2.

(8) Suet. Claud. 41.; cf. Roller. W. D.. Scholarly Kings: The writing of Juba11 of Mauretania, Acrhelaos of Kappadokia, Herod the Great, and the Emperor Claudius. Chicago III, Ares Publishers, 2004.

تشير القرائن أنه كان لكلاوديوس أسلوبه الخاص الذى يظهر فى خطبه وأقواله وتؤكد على ذلك سمولود "Smallwood" مرجع سبق ذكره، "رافضة أقوال المؤرخين القدامى وعلى رأسهم تاكيتوس (Tac. Ann. X1. 13, 14.) وسويتونيوس (41.3) أن أقوال كلاوديوس

فى الواقع أن كلاوديوس تأثر بشكل كبير بكتابات أستاذه ليفيوس، وتأثره بالغزو الثقافى اليونانى واضح فى إعجابه باللغة اليونانية والحديث بها وفى قراءته فلعله أراد أن يفهم تلك الشعوب الحضارية القريبة منه خاصة وأن الأتروسكيين أيضا ثقافتهم يونانية(١) فهو لم يهرب من روما إلى دراسة أعداءها، كذلك إعجابه واهتمامه باللغة اليونانية جعله يتخذ يونانيين أصدقاء له وهو صغير و يفسر أيضاً ثقته فى طبقة العبيد المحررين خاصة اليونانيين منهم (ناركسوس، بالاس، كالستوس). أما فيما يخص كتاب كلاوديوس عن تاريخ روما فقد انطلق من حادث اغتيال يوليوس قيصر. وقد بقى منها فى زمن سويتونيوس ٤٣ كتابا، الكتابان الأولان منها كانت تتناول سنتى ٤٣–٤٤ ق.م. ثم كانت هناك فجوة، إذ أن أمه انطونيا وجدته ليفيا أقنعاه بأن يترك فترة الإئتلاف الثانى(٢) (ذلك الإئتلاف الثلاثى الذى كان بين اوكتافيوس وانطونيوس وليبدوس)، بمعنى أنه واصل كتاباته راوياً لأحداث عام ٢٧ ق.م. إلى نهاية عهد أغسطس ١٤م. ويكون جملة ما سرده من أحداث هو ٤٣ عاما.

إن اهتمام كلاوديوس بأن يبدأ كتابة تاريخه بعصر يوليوس قيصر يبدو أيضا أنه كان بتشجيع من أستاذه ليفيوس ونتيجة تأثره بكتابته وهو الذى فضل أن يكتب هو الآخر تاريخه من منظور فنى بعودة لجذوره، عالم قيصر وشيشرون(٣)، إلا أن كلاوديوس حين كتب هذا العمل عن تاريخ روما والذى يحمل ثمانى مجلدات(٤) اختلف إلى حد ما عن كتابته عن تاريخ الأتروسكيين وقرطاجة، فهو فى هذا العمل يحمل اهتمام شخصى فهو من نسل امبراطورى وعضو فى الأسرة الحاكمة، وهو معاصر لهذا التاريخ تقريبا. وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل وهو لماذا نصحته أمه انطونيا وجدته ليفيا بترك الكتابة عن الإئتلاف الثانى؟

لقد كتب كلاوديوس كتابا عن تاريخ الحرب الأهلية منذ مقتل يوليوس قيصر(٥). لعلنا نستشعر من هذا العمل روح المؤلف وهو ميله للجمهورية، ألم يعلن والده دروسوس من قبل إخلاصه للجمهورية وقيل إنه لم يكتم رغبته فى استعادة الشكل القديم للحكم فى حال تقلده للسلطة(٦). لهذا السبب اجترأ البعض وكتب يقول أنه كان موضع شك فى نظر أغسطس، إلى حد القول أن أغسطس تخلص منه بطريق السم(٧)!.

كانت نوعاً من الحذلقة وسعة المعرفة – مثل اقتراح الإمبراطور إضافة ثلاثة حروف جديدة إلى الأبجدية اللاتينية أو نصحه باستعمال دواء ضد عضة الثعبان.

(١) توينبى، تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزى جرجس وصقر خفاجة، القاهرة ٢٠٠٣، ص٢٦٠.

(2) Suet.Claud. 41.2; cf. Burns, Jasper. Great Women of Ipmerial Rome. Mothers and Wives of the Ceasers. New Yourk, Routlege, 2007

(٣) أحمد عتمان، المرجع السابق، ص ١٠ حاشية ١.

(4) Suet. Claud. 41. 2

(5) Suet. Claus. 41. 2.

(6) Suet. Claus. 1. 4.

(7) Suet. Claud. 1. 5.

يذكر سويتونيوس أن الإمبراطور استدعاه من إقليمه ولما لم يمتثل للأمر فى الحال تخلص منه عن طريق السمّ.

فهل كان حزن أغسطس على دروسوس والذى تذكره المصادر الأدبية[١] حقيقياً أم كان زائفا؟ وهل لما فرض على تيبريوس تبنى جرمانيكوس[٢] بن دروسوس واخو كلاوديوس، هل كان لأحقيته فى الخلافة بعد تيبريوس، بسبب انتسابه إلى الدم الأوغسطى عن طريق والدته ابنة اوكتافيا أخت أغسطس، وهو بذلك يستحق الترشح للخلافة أكثر من دروسوس الصغير ابن تيبريوس من زوجته الأولى Vipsnia ابنة أجريبا؟ أم أن تبنى جرمانيكوس كان بسبب وغز ضميره؟ هذا محتمل أيضاً، لأن فى رأينا إذا كان أغسطس يحب دروسوس كل هذا الحب لماذا لم يتبناه فى حياته؟ هل كان يخشى طموحه وأفكاره؟ إنه لم يتبن حتى أخوه تيبريوس إلا بعد موت أحفاده جايوس ولوكيوس[٣]! وهل كان ذهاب تيبريوس إلى رودس وانعزاله ست سنوات[٤] بسبب حزنه على أخيه وتشككه فى مقتله على يد أغسطس؟ ربما يكون هذا محتملاً أيضاً.

على أية حال لاشك أن كلاوديوس حين كتب هذا العمل، كان فى جعبته ذكرى والده، والذى كان بالنسبة له – ولغيره– بطلا، ولعل كلاوديوس الطفل اليتيم المريض، وهو يلقى من أقاربه الزجر والنهر، تصور أنهم ربما كانوا سيعطفون عليه أكثر من ذلك لو كان والده حينذاك على قيد الحياة. إن هذا الشعور لابد وأن قاده إلى توقير لوالده وللأشياء التى كان يفعلها أو يفكر فيها. ولعل والدته وجدّته قد عارضتا (الحرية والصراحة) اللتين تحدث بهما عن فناء الجمهورية[٥]. والذى يؤكد هذه الفرضية إعجابه الشديد بشيشرون والذى حكم عليه اجداده انطونيوس واوكتافيوس بالإعدام. ربما لم يكن من الحكمة أن يذكر هذا علنا وهو فى مرحلة المراهقة إلا أننا نلمح ثناءه على

---

(1) Suet. Claud. 1. 5

سويتونيوس الذى اتهم أغسطس بالتخلص من دروسوس يذكر أيضا مدى حب أغسطس له وكيف لما مات نعاه نعياً حفياً أمام الناس وكتب أغسطس نبذة عن حياة دروسوس على مقبرته لعدم اقتناع الإمبراطور بأن تنقش له فقط عبارة مدح وتمجيد بأبيات شعرية على قبره.

(٢) عن مشكلة الخلافة راجع

Boardman. J. Griffin. J. & Murray. O., The Roman World, 1989, pp. 137 ff.; Salmon, E.T., A History of the Roman World, 30 BC to AD 138, London 2004. pp. 33-38; Wells. C., The Roman Empire, (London, 1992), p. 62, 66-68,

يعرض ولز أسباب أخرى لانعزال تيبريوس فى رودس وأهمها إرغام تيبريوس على ترك زوجته فيبسانيا Vipsania (ابنة أجريبا من زواج مبكر) التى يحبها ويتزوج من جوليا ابنة أغسطس اللعوب، وكذلك تفضيل أغسطس لأحفاده الصغار أبناء أجريبا وجوليا وهما جايوس ولوكيوس وتبنيهما.

(3) Cf. Wells. Ibid., loc. cit.

لقد مات جايوس عام ٤م، ولوكيوس عام ٢م. ويرى ولز أن أغسطس حين تبنى أحفاده كان قد حصل على لقب أبو الوطن وبالتالى استطاع أن يفعل فى هذه الفترة مالم يفعله فى عام ٢٣ ق.م. حين كانت المعارضة شديدة ضده أما الآن فقد توجت سلطاته بحصوله على لقب أبو الوطن وصار مركزه لا يقل عن مركز الملك أنظر:

Salmon, E .T. The Evolution of Augustus, Principate. Historia, VI (1956), pp. 450-459, 470-475; cf. Shackleton, Bailey D.R. Adoptive Nomenclature in the late Roman Republic, Atlanta, Scholars Press, 2nd. Ed., 1991

(4) Wells. op. cit. loc. cit.

(5) Suet. Claud. 41.2; cf. Brunt. P. A., The Fall of the Roman Republic and Related Essays (Oxford U.P. 1988).

الخطيب المفوّه من حقيقة كتابه "دفاع عن شيشرون ضد اسينيوس جالوس[1]". " Ciceronis defensionem adversus Asini Galli libros"

فهل كان سبب رفض أمه وجدته الكتابة عن الإئتلاف الثانى، هو خوفهما من الزج بأسماء أشخاص من الجمهوريين، والتعرض لأعمالهم بالنقد (سلبا أو ايجابا)؟ هؤلاء الذين وقفوا ضد اوكتافيوس وانطونيوس، فى حين أن اوكتافيوس حين صار الإمبراطور أغسطس، كان قد بدأ باعتلائه السلطة سياسة المصالحة مع تلك الارستقراطية القديمة؟[2] وهل أراد كلاوديوس فى كتابته عن روما، تبرير عصر لم يصنع هو أحداثه؟ إن كلاوديوس بكتابته عن عصر الجمهورية، كان كمن يدمر أناساً على درجة عالية من الأهمية[3].

لاشك أن شجاعة كلاوديوس فى اتخاذ موقفا متعارضا مع الاتجاه السائد فى ذلك العصر ومتعارضاً مع تحيز الأسرة الحاكمة، لا يمكن أن يكون قد دلّ على خلل عقلى لدى كلاوديوس بالنسبة لأقاربه خاصة أمه وجدّته، إلا أن الشاب الصغير حين ألقى ظلال الشك على شرعية الفترة الإمبراطورية منذ بداية عصر أغسطس، يبدو أن هذا كان سببا فى عزلته المجتمعية، وفى أن الأسرة تخلت عن كل أمل لها فى جعله شخصاً مناسبا لتولى مسؤلية وظيفة العمل العام فى عهد الإمبراطور أغسطس[4]، خاصة وأن النيران كانت لا تزال مشتعلة تحت رماد خيانة الجمهورية، ولكن جانبية الموضوع ظلت قوية.[5]

إن هذه الفرضية المتعلقة باستبعاد كلاوديوس فى مرحلة شبابه على يد أقاربه من السلطة وممارسة العمل العام، نتيجة لأفكاره وصراحته وليس لمرضه وعدم أهليته، يؤكدها وضع كلاوديوس فى عهد خليفة أغسطس الإمبراطور تيبريوس (عم كلاوديوس)، والذى كان يسير على نهج أغسطس فى سياسته.[6]

---

(1) Suet. Claud. 41. 3.

(2) Lacey. W. K., "Octavian in the Senate, Jaunary 27 BC", JRS. 44 (1974), pp. 176-84; Crook, J.A., Consilium Principis: Imperial Councils and Consellors from Augustus to Diocletian (Cambridge U.P., 1955; Earl Donald, The Age of Augustus. London, 1968.

(3) Syme, R. The Augustan Arsitocracy, Oxford U. P., 1986; Jones, A.H.M. The Criminal Courts of the Roman Republic and Principate (Oxford, Blackwell, 1972; Brunt. op. cit. ch. 5 & 6.

(4) cf. Suet. Claud. 4. 7.
يذكر سويتونيوس أن أغسطس لاشك قرر لاحقا أن يترك كلاوديوس بلا وظيفة بخلاف منصبه فى الكهنوت. ولم يسميه كأحد ورثته باستثناء أنه اعتبره من ورثته من الدرجة الثالثة. والميراث الذى تركه له لا يتجاوز ٨٠٠ ألف سستركيس وترى سكرموزا (Scramuzza, op. cit. p. 39) أن السبب فى هذا ربما لصراحته أو نقده لاوكتافيوس أما قولها لأن نسبه ينتهى إلى أنطونيوس، فهو غير مقبول لأن أوكتافيوس أغسطس هو نفسه الذى فرض على تيبريوس ان يتبنى جرمانيكوس أخو كلاوديوس ليكون خليفة من بعده!

(٥) ظل فريقا من الأرستقراطيين ينعون الجمهورية فى عهد أغسطس حتى عام ٢٣ ق.م حين أحبطت مؤامرة ضد أغسطس، بعدها أقدم أغسطس على تسوية عام ٢٣ حينئذ تنازل عن السلطة القنصلية حتى لا يتُهم أنه دكتاتور ويُغتال مثل أبيه بالتبنى يوليوس قيصر.
Cf. Jones, A.H.M. Studies in Roman Government and Law (Oxford, Blackwell, 1960; id., The Imperium of Augustus, JRS, 41 (1951). pp. 112-119; Cf. Bouman, R.A. The Crimen Maiestatis in the Roman Republic & Augustan Principate, Johannesburg, 1967.

(٦) إن اتباع تيبريوس لقاعدة الحكم الأوغسطى هى التى جعلته يتشدد مع جرمانيكوس ولى العهد ابن دروسوس حين زار مصر بدون إذنه (Boardman and others, op.cit., p. 139 & p.142.)

إن تقلد تيبريوس للسلطة بعد أغسطس أثار آمال لدى كلاوديوس فى أن يتخذ مساراً سياسياً جديداً، فتقدم إلى الإمبراطور طالبا إياه أن يلتحق بسلك الوظائف الشرفية(١). ولا يُعرف متى تقدم بهذا المطلب، ولكن من المعروف أنه احتفل بعيد ميلاده الثالث والعشرون، بوصوله السن التى فيها اعتاد الرجال تقلد منصب الكوايستور، فى شهر أغسطس عام ١٤م(٢)، وعندما مات أغسطس فى ١٩ من نفس الشهر، كانت انتخابات القناصل قد أقيمت، ولكن لم تكن قد فتحت لأولئك المرشحين لوظائف أقل، ربما فى هذه الفترة كان طلب كلاوديوس منصب القنصل فأعطاه عمه تيبريوس تشريفات القنصل Consularia Ornamenta.

وعندما ألح كلاوديوس فى طلب المنصب الفعلى أجاب تيبريوس بهذه العبارات:

"إنه أرسل إليه أربعين قطعة ذهبية بمناسبة احتفالات ساتورناليا وسيجيلاريا(٣).

"quadraginta aureos in Saturnalia et Sigillaria misisse ei"..

بهذا الفتور فى الرد جاء رفض تيبريوس مؤكداً، ويعلق سويتونيوس على هذا الموقف بقوله، ثم أخيراً تخلى كلاوديوس عن أمله فى الترقى واستسلم للبطالة واكتفى بالالتزام بمنزله وحدائقه فى الضواحى، وأحيانا فى فيلا فى كامبانيا.

"علاوة على علاقته بأناس من الطبقة الدُنيا الحزب القديم المشهور بالسُكر والقمار والرذيلة(٤).

Atque ex contubernio sordidissimorum hominum super veterem segnitiae notam ebrietatis quoque et aleae infamiam subiit,...

ويكمل سويتونيوس فى نفس الفقرة، كذلك رفض تيبريوس اقتراح آخر بضرورة إدلاء كلاوديوس برأيه ضمن آراء القناصل(٥) ويعلل سويتونيوس هذا الرفض لأن تيبريوس رأى فى كلاوديوس وهناً وضعفاً فى شخصيته Imbecillitatem.

أليس غريبا أن يكون هذا الوهن رآه تيبريوس فقط، ولم يراه رجال السناتو الذين اقترحوا ضرورة إدلاء كلاوديوس برأيه مع القناصل! ألا يمكن أن يكون هذا الانحياز من جانب السناتو لرؤيتهم أن كلاوديوس بوجوده فى السلطة يكونوا قد كسبوا تأييداً مهماً من أحد أفراد الأسرة الإمبراطورية، يميل إلى الاتجاه الجمهورى، وهو ما أشرنا إليه من خلال كتاباته التى خشيت منها أمه وجدّته.

إن هذا الإهمال السابق من تيبريوس لكلاوديوس الذى يبدو متعمدا لا يمكن أن يُعزى إلى قصور فى شخصية كلاوديوس، إن علينا أن نبحث عن أسباب أخرى تفسر هذا الإهمال. ولعل الإجابة تكمن ليس فقط فى التخوف من

---

(1) Suet. Claud. 5.

(2) Suet. Claud. 2. 1.

(3) Suet. Claud. 5.

(4) Suet. Claud. 5;

يذكر سوتيونيوس فى نفس الفقرة أنه "مع ذلك لم يفقد اهتمام الأفراد ولا احترام العامة"! أن تناقض سويتونيوس فى ذكر الشئ وعكسه تكرر فى أكثر من مناسبة. (راجع فيما يلى ص٢٨ وحاشية رقم ١١٢، ١١٣) حيث يذكر سويتونيوس احترام الفرسان أيضاً لكلاوديوس.

(5) Suet. Claud. 6. 2.

أفكاره، وهى التى خشى منها أغسطس من قبل، وتيبريوس بلا شك هو الآخر كان يسير على سُنّة أغسطس، إنما أيضا من الواضح أن كلاوديوس كان شخصية اجتماعية على العكس من تيبريوس[١] وله أصدقاء عديدين من طبقة السناتو. وهذا يتضح من اقتراحهم السابق بضرورة إدلاء كلاوديوس برأيه مع القناصل، ويتضح ذلك أيضا من الأسماء المرموقة لعائلات خطيباته وزيجاته المتعددة[٢]، وأسماء أصدقائه مثل آيليوس سيانوس[٣] Aelius Seianus، قائد الحرس البريطورى الذى لعب دوراً بارزاً فى عهد تيبريوس، وكذلك علاقته بعائلات فيتلليوس Vitellii و بيترونيوس Petronii و بلاوتيوس Plautii.[٤]

إن هذا يعنى أن تمجيد كلاوديوس لأسرته، لم يمنعه من الاختلاط بكثير من الارستقراطيين بل وبأفراد أقل منه اجتماعيا أيضا. وإذا أردنا أن نتعرف على علاقاته مع تلك العائلات الأرستقراطية فإن زوجة كلاوديوس الأولى هى أورجولانيلا[٥] Urgulanilla من عائلة بلاوتيوس، التى نال والدها تكريما فى مهرجان نصره، وقد انجب منها ابنته كلوديا، وقد طلقها بسبب خلاعتها، والشك فى ارتكابها جريمة قتل. وزوجته الثانية هى إيليا بايتينا[٦] Aelia Paetina، وقد طلقها هى الأخرى لإساءة صدرت منها. وزوجته الثالثة هى ميسالينا Messalina ابنة قريبته ميسالا بارباتوس Messala Barbatus، وهى أم أطفاله بريتانيكوس وأوكتافيا، وقد اصدر عليها الإمبراطور حكم الإعدام بسبب أفعالها المخجلة وفجورها[٧]، وقد قرر بعدها البقاء بدون زواج بسبب فشل زيجاته، ولكنه أخيرا تزوج من اجريبينا الصغرى ابنة أخيه جرمانيكوس، وأمها هى أجريبينا الكبرى حفيدة أغسطس. والحق يقال أن زوجاته الأربعة رغم إنهن كن من طبقة النبلاء، إلا انهن كن يتصفن بالخِسّة واللئم وأكثرهن فى هذا الطبع ميسالينا واجريبينا[٨].

---

(١) كان تيبريوس شخصية انطوائية وقد بدأ فى عهده تطبيق قانون الخيانة العظمى "maiestas" على أعدائه وخاصة من طبقة السناتو. عن المحاكمات التى تمت فى عهده راجع:

R.S. Rogers, Criminal trials and criminal legislation in the reign of Tiberius, Middletown, 1935.

(2) Ernestin, op. cit., p. 85-86.

يرى إيرنستاين أن تعدد حالات زواج كلاوديوس لابد أن يُدرس فى ضوء تعرضه للإبعاد أثناء مرحلة الطفولة لأنه لابد كان لديه تلك الرغبة التوّاقة بأن يُنظر إليه كفرد طبيعى مرغوب فيه فى المجتمع، وفى رأينا أن تعدد حالات زواج كلاوديوس لم يكن أمراً غريباً لأن أغسطس هو الآخر تزوج ثلاث مرات، خاصة و أن سويتونيوس اعترف بأن كلاوديوس لم يكن ميالاً إلى الرذيلة بطبيعته.

(3) Wells, op. cit. p. 37, 87, 102; Syme. R., Tacitus, Oxford, U.P., 2. vol. (1958), p. 398-407; 752-754.

(٤) بالنسبة لعائلة فيتلليوس (Vitellius) راجع: Syme.ibid, vol.1, p.386; Heurgon. J., CRAI (1953) p.29 ff. وبالنسبة لعائلة بلاوتيوس (Plautius) راجع:

Taylor. R., MAAR. 24 (1965) p. 7 ff; cf. Hallett. J. R. Women and the Elite Family (Princeton U.P., 1984).

(5) Suet. Claud. 26. 2.

(6) Suet. Claud. loc. cit.

(7) Suet. Claud. loc. cit.; cf. Tac. XI. 36.

راجع عند تاكيتوس قضية ميسالينا واتهامها بالزنا مع "سيليوس Sillius".

(8) Cf. Tac. Ann. X11.1, 2; 3, 2; Suet. Claud. 27; Dio. 60. 5, 7.

إن الطموح السياسى لدى المرأتين كان معلوما – إلى جانب الانحراف الشهوانى لدى الأولى الذى وصل بها الأمر إلى زواجها من رجل ثانى هو سيليوس؟! اما الثانية فقد خططت للتخلص من خطيب أوكتافيا ابنة كلاوديوس حتى تؤمن العرش لإبنها نيرون بزواجه من أوكتافيا وتبنى كلاوديوس له.

وبعيدا عن الحديث عن سوء حظه مع النساء[1]، فإنه يمكن القول إن مجرد علاقة كلاوديوس بأسر كبيرة أرستقراطية، ترغب فى الزواج منه، أو إقامة أواصر صداقة ومصاهرة هى تعكس أمرين:

الأمر الأول: أن كلاوديوس شخصية مرغوب فيها، فهو من الأسرة الإمبراطورية وبالتالى سوف يشبع طموحاتهم، مما جعل كثير من العائلات المرموقة ترى فيه زوجا مناسبا لكى تخطب بناتها له، ولو انه كان فى شبابه ليس سَوِيِ العقل، ما كانت تلك النساء يقبلن الزواج منه!

الأمر الثانى: هذه العلاقات مع الأسر الارستقراطية، ربما توضح سبب تخوف تيبريوس من كلاوديوس، فإن سعى هؤلاء إلى التقرب من كلاوديوس، وعمل علاقات قوية معه قد يكون لأنهم رأوا فيه الشخص المناسب لتقلد السلطة الإمبراطورية بعد تيبريوس، أليس كلاوديوس هو أخ جرمانيكوس محبوب الشعب وأغسطس. إننا نقرأ فى المصادر القديمة أن كلاوديوس حين تولى منصب البرينكبس، كان هو الآخر له شعبية كبيرة[2].

هذه الفرضية يمكن الاستدلال عليها من خلال معرفتنا بالأحداث، التى واكبت وفاة جرمانيكوس، و ردود الأفعال المصاحبة لهذا الحدث الجَلل.

لقد اتصف الموقف السياسى بعد وفاة جرمانيكوس (عام ١٩) منذ يوم ١٩ أكتوبر إلى يوم ٢٢ إبريل (عام ٢٠)، بعدم الاستقرار والوضوح، وربما تساءل أصدقاء كلاوديوس بعد وفاة جرمانيكوس هل ستبقى سلطتهم فى ظل حكم القيصر دروسوس الصغير (ابن تيبريوس)، فبالنسبة لهم كان تقدم كلاوديوس شقيق جرمانيكوس بدلا منه أمرا جذابا، وقد قيل أن التحريض من جانب كلاوديوس تواصل على الأقل حتى نهاية عام ٢١م.، عندما تم إعدام الشاعر كلوتوريوس بريسكوس Clutorius Priscus، بعد القصيدة التى نظمها وألقاها فى أحد الصالونات الارستقراطية، وكانت تتضمن رثاء لموت القيصر دروسوس، وكان هذا افتراضا مسبقا منه بذلك الحدث[3]. وفى يوم ٢٢ إبريل تسلّم دروسوس الصغير السلطة التريبونية، وبهذا وضح جليا الاتجاه الجديد فى أن تيبريوس بعد وفاة جرمانيكوس، أراد أن يجعل ابنه دروسوس ليس فقط وريثه الطبيعى فى الحكم، وإنما يجعله مشاركا له فى السلطة قبل وفاته[4].

CF. Smith M.S., "Greek precedents for Claudius' action in AD 48 and later". Classical Quarterly, New series vol 13, no. 1 (1963) pp. 139-144.; Godolphin. F.R.B, "A note on the marriage of Claudius and Agrippina"., Classical Philology, vol. 29, no. 2 (1934), pp. 143-145.

(1) Suet. Claud. 26. 1.

لقد خطب كلاوديوس مرتين ولم يتم زواجه. أمّا الأولى فهى إيميليا ليبيدا (Amilia lepida) وقد استبعد زواجه منها بسبب أن والديها أساءوا إلى أغسطس، والثانية هى كاميلا Camila من نسل أسرة كاميلوس Camillus الدكتاتور العريقة، ولم يسعفه القدر أن يتزوجها إذ مرضت وماتت فى نفس اليوم الذى كان مقرراً فيه الزواج.

(2) Suet. Claud. 12.

(3) Tac. Ann. III. 49 ff.

(4) Tac. Ann. III. 56.

وبالطبع لم يروق هذا الاتجاه لكلاوديوس، وفى هذا السياق نذكر مقولة ذكرها سويتونيوس[١] وهى أن ليفيلا Livilla شقيقة الإمبراطور كلاوديوس ما أن سمعت بتلك النبوءة التى تزعم ان كلاوديوس سوف يعتلى عرش الإمبراطورية يوما ما، حتى رثت على شعب روما (أن يحكمهم كلاوديوس)!

وإذا افترضنا صحة تلك المقولة، التى ذكرها سويتونيوس ضمن تلك الأدلة التى جمعها عن أوصاف كلاوديوس السلبية من أقاربه الأكبر سنا (أقوال أمه وجدّته وأغسطس)، وجعلها ضمن أداة إدانة لكلاوديوس، فإن مقولة ليفيلا شقيقته ربما ترجع إلى عام ٢٠ حينما كانت زوجة القيصر دروسوس. أليس هذه المقولة يمكن تفسيرها فى ضوء خوف الزوجة من احتمالية ان يتقاسم كلاوديوس السلطة مع زوجها؟ إن تلك المقولة سواء أكانت صحيحة أو لا سند لها فهى دليل على أن تولى كلاوديوس العرش، كان مثار الحديث ليس فقط بين أصدقاء كلاوديوس المقربين، بل وفى الوسط العائلى الامبراطورى أيضا، وأن شهادة إمرأة مثل ليفيلا حريصة على مصلحة زوجها لا يجب أن يُعتد بها كثيرا. على أية حال ربما تلاشت كل الآمال فى تقدم كلاوديوس السياسى حين تبنى تيبريوس جايوس كاليجولا بن جرمانيكوس بعد اغتيال ابنه دروسوس، فلماذا تم استبعاد كلاوديوس حتى بعد اغتيال دروسوس؟! هل كان ذلك بسبب سيانوس قائد الحرس البريطورى، والذى لعب دوراً كبيراً فى الحياة السياسية فى عهد تيبريوس؟[٢] خاصة وأنه أدخل فى روع تيبريوس خطر أفراد أسرته ومن بينهم أجريبينا الكبرى – زوجة جرمانيكوس – ومن هنا كان مقتلها. فمن المحتمل أيضاً أن يكون هو الذى أدخل الشك لدى الإمبراطور حول كلاوديوس كأحد أفراد أسرته، خاصة وأن كلاوديوس كان يتمتع بروح اجتماعية عالية وله صداقات حميمة مع طبقة السناتو، على العكس من تيبريوس الذى كان شخصية منطوية، ويميل إلى التوجس والشك فى المحيطين به. فهل سيانوس أراد تحقيق مصلحته مثلاً من خلال ابتعاد تيبريوس عن الساحة السياسية وانزوائه فى كابرى، وكذلك من خلال مقتل ابن الإمبراطور دروسوس فى روما، فيكون بذلك قد خلا العرش له، خاصة وقد قيل أنه كان على علاقة بزوجة دروسوس؟[٣] كل هذا جائز احتماله. خاصة مع وجود أدلة على أن سيانوس اكتسب ثقة تيبريوس، فصار هو السيد الأعلى بعد أن نصح تيبريوس أن ينعزل فى كابرى عام ٢٦، وقد أضحى رجلاً حزيناً بعد ما تعرض له من محن، وانصراف الناس من حوله بسبب انطوائه. وانتهز سيانوس الفرصة فنفى عدداً كبيراً من أعدائه بتهمة الخيانة العظمى Maiestas[٤]. وأخيراً هل محاكمة سيانوس بعد مقتل دروسوس[٥]، هى التى أدت إلى تغيير أحداث التاريخ فبدلا من أن يتولى كلاوديوس العم باعتباره هو المرشح المنتظر، تولى جايوس الابن الصغير!؟ وذلك ربما

---

(1) Suet.Claud. 3.2. "Soror Livilla cum audisset quandoque imperaturum, tam iniquam et tam indignam Sortem p. R. Palam et clare detestata est".

(2) Bird, H.W., "L. Aelius Seianus and his political Significance". Latomus. Tome 28. Fasci 7(1969), pp. 61-98.

(3) cf. Maranon, G. Tiberius: A study in resentment, (London 1956), pp. 127-144.

(١٠٥) ناهد الحمصانى، تاريخ الرومان رؤية فى سقوط النظام الجمهورى وقيام النظام الإمبراطورى، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢١٧، ص ٢٢١-٢٢٢.

cf. Rogers, op. cit., p. 115 ff.; Bauman, op.cit. loc. cit.

(5) Josephus, 47. LVIII, 8.

تمكنت والدة الأمير الراحل جرمانيكوس من الحصول على وثائق بخط سيانوس تكشف عن أغراضه واطماعه، وأرسلتها إلى تيبيريوس فى كابرى، وتبين له أنه كان نفسه ضحية لسيانوس.

لأن علاقة كلاوديوس القوية بسيانوس الخائن كانت واضحة(١). ولو طرحنا سؤالا أكثر جرأة وهو هل ما فعله تيبريوس مع جايوس الابن، هو نفس ما فعله أغسطس مع جرمانيكوس الأب؟ بمعنى إذا صحت رواية سويتونيوس، التى سبق ذكرها، أن أغسطس كان وراء مقتل دروسوس نيرو، فإن هذا يكون هو سبب إرغامه لخليفته تيبريوس على تبنى جرمانيكوس بن دروسوس، وأوغسطس فى ذلك يكون قد حرم تيبريوس من أن يجعل وراثة العرش من بعده لابنه من صلبه. ويكون تيبريوس مقلدا لأغسطس بتبنيه لجايوس بن جرمانيكوس، الذى دارت حوله – هو الاخر – الشبهات فى مقتل جرمانيكوس(٢). وتكون فكرة تبنى جايوس بعد مقتل أبيه جرمانيكوس تحقق هدفين:

إحداهما: دفع تهمة مقتل جرمانيكوس عن تيبريوس من جهة، والآخر: مكافأة ابنه جايوس بالعرش من جهة أخرى. إن هذا الاحتمال هو الآخر ليس مستبعداً فى ضوء دراسة تاريخ تيبريوس حيث وضح انه كان حريصا على تطبيق قاعدة الحكم عند أغسطس(٣)، ومثال على ذلك رفضه بشدة أن يذهب جرمانيكوس، وهو ولى العهد وصاحب سلطة الأمبيريوم لزيارة مصر دون إذن الإمبراطور وكسر تلك القاعدة التى أرساها الإمبراطور أغسطس.

خلاصة ما سبق أن كلاوديوس عكف وهو صغير على دراسة التاريخ بتشجيع من ليفيوس وأفراد من أسرته، واستمر شغفه بالقراءة التاريخية فى شبابه، وبعد تقلده سلطة الإمبراطورية، إلا أن اهتمامه الشخصى بالحرب الأهلية واغتيال قيصر، وشيشرون، يبدو أنه كان وراء نُصح والدته وجدته بعدم المضى فى الكتابة والحديث عن عصر اوكتافيوس وانطونيوس والإئتلاف الثانى، وما حدث فيه من حرب أهلية، وأحداث عنف قد تسبب مشاكل لأغسطس مع المعارضة السيناتورية للإمبراطورية. ولعل بسبب ما كان يتمتع به أيضا من صراحة، ظهرت فى كتابته فإنه أستبعد من ممارسة العمل العام فى عهد أغسطس إلى جانب صغر سنه عندئذ، إلا أن هذا الاستبعاد ظل فى عهد تيبريوس عم كلاوديوس، رغم أنه كان وصل إلى السن التى اعتاد فيها الشباب تقلد منصب الكوايستور. لكن يبدو أن بقاءه فى الظل بعيدا عن المناصب العامة كان متعمداً، لكن هذا لم يمنعه من أن يكون له علاقات وطيدة مع السناتو وطبقة الفرسان. وقد حرصت عائلات وأسر ارستقراطية مرموقة الارتباط به، ورأت فيه مرشحاً مناسباً للسلطة وكان هذا أدعى لتيبريوس على أن يُصر على بقاءه خارج دائرة الضوء حتى يفسح الطريق أمام ابنه

---

(1) Heurgon. J, CRAI (1933) p. 29 ff.

يرى هيورجون أيضاً أن كلاوديوس اكتسب علومه وحكمته وفنونه الاتروسكية من أم زوجته إيليا بايتينا Aelia Paetina Volsinii. وسيانوس أيضاً كان اتروسكى وتربطه صداقة بتلك العائلة. بينما على العكس هناك أدلة على سوء العلاقة بين دروسوس الصغير وسيانوس فيحدثنا سويتونيوس (Suet. Claud. 6. 2) أن شجار حدث بين سيانوس ودروسوس الصغير فى حريق عام ١٥م.

(2) C. f. Tac. Ann. 107, III, 5.

مما شجع على انتشار هذه الشائعة تغيب ليفيا والإمبراطور تيبريوس عن حضور الجنازة المتواضعة التى أقيمت لحرق جثمان جرمانيكوسن ولما بلغ الإمبراطور نبأ سخط الجماهير لبساطة الجنازة صاح غاضباً "يموت الأمراء وتبقى الإمبراطورية".

(٣) راجع فيما سبق حاشية رقم (٨٤). لعل سبب تلك الشبهات التى دارت حول تيبريوس بشأن جرمانيكوس، هو حرص تيبريوس على أن يسير على نهج سلفه أغسطس، فلم يكن من أنصار التوسع، واعترض على محاولات جرمانيكوس فى توسيع حدود الإمبراطورية فى المانيا، كما عارض أغسطس من قبل توسعات والده دروسوس. ويرى مارانون (Maranon, op. cit. p. 10) أن مرض جرمانيكوس وموته ليس له علاقة بما أشيع من أن السم وضع له فى الطعام، وأن تيبريوس برئ من ذلك. ويرجح أن جرمانيكوس مات متأثراً بداء الملاريا أو السل وفقاً لوصف سويتونيوس لتلك الأعراض (Suet. Caligula, 106.) .

دروسوس الصغير. ورضى كلاوديوس بهذا الأمر وهذه العزلة السياسية حتى تقلد ابن أخيه جايوس العرش عام ٣٧، وأخرج عمه من عزلته، وتم تنصيبه معه زميلا له فى وظيفة القنصل(١).

هكذا فإن اتهام كلاوديوس أنه رجل آثر الآداب عن السياسة، والدراسة عن السلطة اتهام مبالغ فيه، حيث أنه تم استبعاده عمدا فى عهد تيبريوس وعلى ذلك يمكن أن نعتبر تلك القصة التى روتها المصادر القديمة(٢) بأن اعتلائه للسلطة بعد اغتيال جايوس كان بالصدفة، حيث تروى أن شخصا ما يرثى لحاله كان مختبئا خلف الستائر ولكن كشفته قدماه، تكون هى الأخرى مثاراً للشك ومبالغاً فيها، فأحقيته للعرش بعد جايوس كانت واضحة ومبررة، وأدلة علاقته الطيبة بالفرسان والحرس الإمبراطورى تؤكدها المصادر. أن سويتونيوس يناقض نفسه حين يذكر تلك الحادثة، بينما فى فقرة أخرى يشير إلى علاقة كلاوديوس الجيدة مع الفرسان. حيث يذكر أن طبقة الفرسان اختارت كلاوديوس مرتين راعيا رسميا لهم ورئيسا مفوضا عنهم، مرة عندما طلبوا من القناصل نقل جثمان أغسطس إلى روما على عاتقهم، ومرة ثانية عندما عرضوا عليهم تهنئتهم لسقوط سيانوس،(٣) ولقد ذكر أيضاً أنه كان يترأس العروض مكان جايوس، وكان الناس يستقبلونه بهتاف هو:

"المجد لعم الإمبراطور .. ولشقيق جرمانيكوس"(٤).

"Feliciter" partim "patruo imperatoris" Partim "Germanici fratri."

أليس هذا دليلا على شعبيته(٥). لقد ذكر سويتونيوس كذلك أن الفرسان اعتادوا أن يقفوا له بمجرد ظهوره فى العروض العامة وأن يخلعوا عباءاتهم تحية له(٦)!أليس هذا دليلا على اقتناعهم القوى على ترشيحهم له! وأنهم حين أدوا التحية الإمبراطورية له لم يكن بسبب الاستهزاء وإنما لأحقيته بالعرش بعد جايوس؟!

إذن ما سر تلك السمعة السيئة التى لحقت بكلاوديوس وارتقاءه العرش، وما سر عداء المصادر الأدبية لكلاوديوس؟ فى رأينا أن طريقه اعتلائه العرش على يد الحرس الامبراطورى، وليس عن طريق السناتو أى بطريقة غير دستورية، تلك السابقة الخطيرة فى تاريخ الإمبراطورية هى وراء تلك السمعة السيئة واتهامه أنه "طاغية" خاصة

---

(1) Wells, op. cit. p. 108.

(2) Suet. Claud. 10.1 ff., Joseph., AJ. 19. 216; Dio. 60. 1, cf. Suet. Claud. 39. 1:
سويتونيوس يصف كلاوديوس بالغفلة وغياب عقله. αβλψìα, μετεωρìα .. ولكنه يذكر (Suet. Claud. 38.3) إن كلاوديوس أعلن تعمده إظهار الغباء وذلك فى عهد جايوس وإلا ما كان ليبقى على قيد الحياة والوصول إلى مكانته الحالية (كإمبراطور).. وقد ظهر له كتاب بعنوان "ترقى الحمقى" μωρῶν ἐπανάστασις وفكرته أن احد لا يزعم اتصافه بحماقة مهلكة..

(3) Suet.Claud.6 .

(4) Suet.Claud. 7.

(5) Cf. Suet. Claud. 12.
يذكر سويتونيوس دليلاً آخر على شعبية كلاوديوس بعد أن صار إمبراطور إذ ثارت شائعة أنه قُتل فغضب الشعب واتهم رجال السناتو والحرس الإمبراطورى بخيانتهم للإمبراطور.

(6) Suet. Claud. 6.1

مـع كثـرة المـؤامرات والاغتيـالات، التـى تمـت فـى عهـده إلـى جانـب قيامـه بعـدة تغييـرات فـى نظـام الرئاسـة Principatus نُظر إليها على أنها مغايرة للأفكار السيناتورية الجمهورية والتقاليد الرومانية(١).

ناهد عبد الحليم الحمصانى

(١) هناك اتهامات أخرى لحقت بكلاوديوس أثناء تقلده منصب الرئاسة وسوف يكون موضع مناقشتها فى بحث آخر عن كلاوديوس تحت عنوان "فى النقد التاريخى" شخصية الإمبراطور كلاوديوس نموذجاً.